الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن استنَّ بسنته واهتدى بهديه إلى يوم الدين. أما بعد:

قَالَ المُصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بَابُ
مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ دَخَلَ الـجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٩].

وَعَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ رَأَى الكَوْكَبَ الَّذِي ٱنْقَضَّ البَارِحَةَ؟، فَقُلْتُ: أَنَا، ثُمَّ قُلْتُ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ؛ وَلٰكِنِّي لُدِغْتُ، قَالَ: فَمَا صَنَعْتَ؟، قُلْتُ: ٱرْتَقَيْتُ، قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذٰلِكَ؟، قُلْتُ: حَدِيثٌ حَدَّثَنَاهُ الشَّعْبِيُّ، قَالَ: وَمَا حَدَّثَكُمْ؟، قُلْتُ: حَدَّثَنَا عَنْ بُرَيْدَةَ ٱبْنِ الـحُصَيْبِ؛ أَنَّهُ قَالَ: «لا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ»، قَالَ: قَدْ أَحْسَنَ مَنِ ٱنْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ؛ وَلٰكِنْ حَدَّثَنَا ٱبْنُ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هٰذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هٰذِهِ أُمَّتُكَ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الـجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ»، ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ، فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الإِسْلَامِ فَلَمْ يُشْرِكُوا باللهِ شَيْئًا، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»، فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ؛ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ ٱدْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ»، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ: ٱدْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ».

قال الشارح وفقه الله:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالى: (**بابُ من حقَّق التوحيد**) أي حقَّقه تحقيقًا وافيًا مُطابقًا لما جاء به الشرع، فلمْ يُلبسه بشرك، كما قال الله ﷻ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام:٨٢] أي بشرك، فلا يُلبسه بالشرك حققه كاملًا على أحسن وجه، فهؤلاء يدخلون الجنة بغير حساب، وهذا لا يعني أن كل من وحَّد الله يدخل الجنة بغير حساب، وإنما من أتى بالتوحيد من كل وجوهه، كما في حديث السبعين ألفًا: «فإنهم استوفوا التوحيد» عقيدةً واعتمادًا وعبادةً، فكانوا مُكملين التوحيد من جميع جوانبه، فكانوا يعتمدون على الله في جلب النفع ودفع الضر ولم يلجئوا إلى غير الله، فهؤلاء يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وليس معناه أن من أتى بالتوحيد ولو بشيءٍ من النقص فيه يدخل الجنة بغير حساب لا، ذاك لا يخلد في النار، وأما الذي يدخل الجنة بغير حساب فهو كامل التوحيد الذي أتى به من كل وجه ولم يحصل عنده فيه نقص.

والمقصود من قوله: (**بِغَيْرِ حِسَابٍ**)؛ أي: بغير عذاب، لأن المُحاسبة عذابٌ كما في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: إن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَن نوقش الحساب عُذِّب». أي من سُئل ما فعل وما ترك، فإنه فيه نوع عذاب؛ لأنه يُطلب منه أن يستحضر كل لحظةٍ في حياته دقيقةٍ أو جليلة، فإنه يُسأل عنها وعما كان منه فيها من عمل، وهذا لاشك أنه عذابٌ، يعرف الناس ذلك من امتحانات المدارس والجامعات، ويعرفونه من تحقيق الشُّرط عندما يطلبون معلومات عن بعض أجزاء الوقت، أو في الاختبار يُطلب معلومات عن بعض أجزاء ما ورد في الكتاب أو الدرس، فتجد المرء يجد مشقة، فكيف بمن يُسأل عن كل تفاصيل حياته، ولذلك من نوقش الحساب في رواية: «عُذب» وفي رواية: «هلك»، لكن أولئك الذين أتوا بكمالات التوحيد فلم تتعلق قلوبهم بغير الله، هؤلاء يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، لم تتعلق قلوبهم بغير الله من وجهٍ من الوجوه، فهؤلاء لا يُحاسبون، وإنما يدخلون مباشرة.

وأما من أتى بالتوحيد على بعض النقص عنده، فإنه لا يخلد الضمانة في النار.

قال: (﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠]).

(إنَّ) توكيدية، و(إِبْرَاهِيمَ) قد ذُكر في عددٍ من القرآن في كثيرٍ من المواضع بأنه كان أمَّة، وأنه كان حنيفًا مسلمًا ولم يك من المشركين، وقد أمر الله ﷻ نبيه محمدً صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بأن يتبع ملة أبيه إبراهيم، فقال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٣].. وهكذا أمر الله جميعَ النَّاس أن يتبعوا ملة إبراهيم، كما قال ربنا ﷻ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الحج:٧٨] ، فإبراهيم كان أمة، و(**الأمة**) كلمةٌ تأتي على معاني، الأمة جماعات من الناس، و(**الأمة**) القدوة، و(الأمَّة) الإمام، وكل هذه اجتمعت في إبراهيم، فإنه كان في وقتٍ لم يكن مُسلمٌ إلا هو وزوجه سارة، وابن أخيه لوط، فواجه إبراهيم أهل الكفر من مللٍ شتى، وأولهم قومه وأبوه، فإنهم واجهوه، وأيضًا ألقوه في النار، وأرادوا به كيدًا، فجعلهم الله الأخسرين، فلذلك قال: (كَانَ أُمَّةً قَانِتًا) القنوت: الأصل فيه طول القيام، كما قال الله ﷻ: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة:٢٣٨]، أي قوموا قيامًا طويلًا، ولذا كان النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يستحب طول القيام في الصلاة، قد ثبت عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «صليت خلف النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ليلةً فاستفتح البقرة، فقلت: يقف عند المائة، فمضى حتى أتمها، فاستفتح النساء حتى أتمها، ثم استفتح آل عمران حتى أتمها»، كل ذلك في ركعةٍ واحدة.

وكان يُطيل صلاة الفجر، وكان في بعض الأحيان يُطيل المغرب، لأن طول القيام في الصلاة خاصةً صلاة الليل أمرٌ يُحبه الله ﷻ، لأن فيه مناجاة الله ﷻ بكلامه قراءة القرآن وتدبره، ولهذا سُمي إبراهيم (قانتًا)، ومن معاني القنوت: الخشوع، ومن معانيها: مداومة الطَّاعة، وإتباع الطاعة بالطاعة، ولذا جاء في عددٍ من العبادات استحباب الإتباع، قال: «من صام رمضان وأتبعه ستٍ من شوال»، ولذلك نرى أنه بعد الحج يأتي شهر الله المُحرم الذي كما قال عنه النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم» وآكد ما يكون استحبابًا صوم العاشر، فجاء إتباعًا للحج، وهكذا.

(﴿حَنِيفًا﴾)، والحَنيف: أصلٌ في الحَنف هو ميلُ باطن القدم، هذا الميل الذي في باطن القدم يُسمى

حَنَف، لأن الحنف الأصل فيه الميل، فكيف يكون الميلُ هو الموافقة للصراط المستقيم، والصراط المستقيم على وصفه مستقيمٌ لا ميل فيه ولا عوج.

قالوا: لما كان أهل الشرك متكاثرون مال عنهم إبراهيم عن طريقهم إلى طريق التوحيد فكان هذا الميل استقامة وبقي على وصفه ميلًا حنيفًا بمعنى: مائلًا عن طُرق الشرك، وليس المقصود به الميل الحقيقي بمعنى الاعوجاج، ولكنه الانحراف عن طُرق الشرك إلى طريق التوحيد، ولهذا قال: (﴿حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾)، ثم قال: ﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النحل:١٢١]. في آية النحل: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النحل:١٢٠-١٢١] .

فهذا هو تحقيق التوحيد ثبوتٌ ورسوخ، وهذا معنى ما يتضمنه كلمة (أمة).

(قَانِتًا) مداومًا على الطاعة تلو الطاعة مُتبعٌ للطاعة تلو الطاعة.

(حَنِيفًا) مائلًا عن كل الشرك ولو بقي وحده.

(﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾)، لم يكن منهم مُشركًا ولم يكن منهم راضيًا بما هم عليه مُخالطًا لهم دون إنكار، لم يكن إبراهيم هكذا، بل أنكر عليهم بلسانه وأنكر بيده حين حطم الأصنام.

قال: وقال تعالى في آية المؤمنون: (﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون : ٥٩])، انظر صفات المؤمنين في سورة المؤمنون، قال: (﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ﴾) ثم عدد صفات المؤمنين قبل ذلك.

ثم قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون:٥٥-٥٦]، ثم قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون:٥٨] هم مؤمنون، طيب هناك مؤمنون يخلطون الإيمان بالشرك، أما هؤلاء لا، مع أنه قال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون:٥٨] قال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون:٥٨]، يعبدونه وحده سبحانه ولا يصرفون شيئًا من العبادة لغيره دق أو عظُم هذا الغير، وكذلك

تلك العبادة حتى لو كانت دقيقة صغيرة كما يراها الناس، فإنه لا معصية تكون صغيرة مع الإصرار عليها كما قيل: (**لا صغيرةَ مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار**).

الاستغفار يمحو الذنوب، والإصرار يُعظم الذنوب، ولهذا قال ابن مسعود رضي الله عنه وقال غيره: «لا تنظر إلى صغر المعصية، ولكن انظر إلى من عصيت»، وابن مسعود يقول: «المؤمن يرى ذنبه كالظُّلة»؛ أي: كالجبل على رأسه، والمنافق يرى ذنبه كأنما ذُبابة وقعت على أنفه فقال بها هكذا.

فهو لا يستشعر عظمةَ من عصاه، فهو ينظر على أنه صغيرة، وصدق الشاعر إذ يقول:

خلِّ الذنوب صغيرها ... وكبيرها ذاك التُّقى
واصنع كماش فوق أرض ... الشوك يحذر ما يَرى
لا تحقرنَّ صغيرةً ... إن الجبال من الحصى

فلا يجوز للمسلم أن ينظر إلى المعصية على أنها صغيرة، فإن هذه الصغائر قد حذرناها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «إياكم ومحقِّرات الذنوب» يعني التي يراها الناس حقيرة بسيطة، قال: «فإنهن ما اجتمعن على امرئ إلا أهلكنه»، لأنها تتكاثر، ثم يستمرئ الإنسان ارتكاب الصغائر، فترق عنده الكبائر، وتستهويه فيأتيها حتى ينتهي به الأمر إلى الشرك -عياذًا بالله- الإنسان إذا استمرأ الذنوب ولم يخش الله عَزَّ وَجَلَّ فيها يستجريه الشيطان حتى يجعله يخوض في الشرك -عياذًا بالله-.

ثم أورد حديث (**حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحمن**)، وهو تابعيٌ من أتباع التابعين، وهو من تلاميذ تلاميذ الصحابة، تلاميذ تلاميذ الصحابة يُسمون أتباع التابعين، لأنه مات عام مائة وستة وثلاثين، وهو حُصين بن عبد الرحمن السلمي الحارث.

قال: (**عَن حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحمن قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ**) سعيد بن جبير من التابعين، تابعيٌ وهو من أصحاب ابن مسعود وتلامذة ابن عباس، إمامٌ فقيهٌ قتله الحجاج بن يوسف الثقفي سنة خمسٍ وتسعين وكان دون الخمسين سنة.

قال: (**قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ**)، لأن حصين من تلامذة سعيد بن جبير، وسعيد بن جبير من

تلامذة ابن عباس، فيقول: قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ) يعني في حلْقته، أو زُرته كما يزور التلميذ شيخه يعوده ويسأل عنه. قال: (فَقَالَ: أَيُّكُمْ) وهذا الخطاب للجماعة يدل على أن قوله: (كُنت) يعني في حلقة الدرس، قال: قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فقال: أَيُّكم رَأَى الكَوْكَبَ)، فلو كانت الزيارة خاصة ولم يكن معه أحد لقال: هل رأيت الكوكب، لكنه قال: «أيُّكم» لأنهم كانوا جمعًا، وقد يكون أنهم زاروه جمعًا من التلامذة، والأرجح أنه يكون في الدرس، والعلم عند الله.

قال: (أَيُّكم رَأَى الكَوْكَبَ الَّذِي ٱنْقَضَّ البَارِحَةَ؟) انقض سقط، والكوكب المقصود به: الشهاب.

قال: (فَقُلْتُ: أَنَا) الآن السؤال كان عن الكوكب، لكن تحول المسار إلى مسارين:

لماذا سأل سعيد بن جبير عن الكوكب لم يرد في الحديث أي إشارةٍ في ذلك، لكن جواب حصين صرف سعيد بن جبير عن سبب طرحه السؤال إلى سبب طرح حصينٍ للجواب، إلى تعاطي، وهذا من دقة العلماء ومن حصافتهم، لأنه غاية ما يكون من جواب أو من سؤال سعيد عن رؤية الكوكب أنه يُخبرهم أنه شهابٌ يُرسله الله على مسترقي السمع من الجن لا أزيد، لكن جواب حصين فيه لفتةٌ عقدية، لذلك توقف عندها سعيد ولم يجزها إلى سؤاله هو : «أيُّكم رأى الكوكب» وإنما توقف عند جواب حصين.

قال: (فَقُلْتُ: أَنَا) يعني رأيت الكوكب، (ثُمَّ قُلْتُ: أَمَا إِنِّي) هذه يسمونها جملة اعتراضية لا دخل لها لا بالسؤال ولا بالجواب الذي يُريد سعيد التعليق عليه ولم يعلق سعيد على هذه الجملة على صدر هذه الجملة حيث قال: (أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ) هذا الجزء من جملة الجواب هذا اعتراضي، والمراد من إيراده صرف النفس عن الاغترار أراد ألا يظن الناس أنه كان قائمًا يُصلي الليل، فيثنون عليه، وكأنه أظهر عمله الخفي الذي بينه وبين الله، وهذا أمرٌ مهم يغيب عن كثيرٍ من الناس اليوم، وكثير من الناس اليوم يعملون أعمالًا يتقربون بها إلى الله لا يعلم بها أحدٌ إلا الله، ثم يُحدثون الناس عنها، هؤلاء يوشك أن يخسروا أجر تلك الأعمال، ويوشك الشيطان أن يستعملها ضدهم ليحملهم على العُجب وعلى الرياء، لذلك أراد صرف الرياء وصرْف تصوره عند السامعين أنه يُريد أن يُرائي، فقال: (أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي

صَلَاةٍ)، إذا لم يكن في صلاة لماذا كان مستيقظًا؟ بين العلة قال: (وَلَٰكِنِّي لُدِغْتُ)، ولعله كان يُصلي فلدغته عقرب، لكن يقول: لما رأيت الكوكب في تلك اللحظة كنت قد أنهيت صلاتي وكنت أعالج هذه اللدغة فرأيت الكوكب، هذا محتمل، وإلا فمثل حُصين لا يُظن به أنه لا يُصلي الليل، قال: (لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ) في تلك اللحظة التي رأيت فيها الكوكب، لكنه سبب في استيقاظه ربما كان الصلاة صلاة الليل، لكن لو أراد أن يدفع عن نفسه أولًا: العُجب، وثانيًا: سوء ظن السامعين له.

فقال: (وَلَٰكِنِّي لُدِغْتُ)، هنا سعيد بن جبير ذهب إلى هذا المنحى العقدي الآن الذي لم يُعالجه حُصين، لأن حُصين أتى بهذه الجملة أو أتى بأمرين عقديين:

الأول: عالجه بنفسه، وهو خشية الرياء، وقال: «أما إني لم أكن في صلاة» هذا علاجه انتهى، لكن الثاني، وهو قوله: (وَلَٰكِنِّي لُدِغْتُ)، هنا يدخل ملحظ عقدي أراد سعيدٌ أن يوجهك توجيهًا سليمًا فقال: (قَالَ: فَمَا صَنَعْتَ؟)، ولدغُ السميات إما أن يُعالج بطريق الأدوية والعقاقير، وإما أن يُعالج بالرقية.

قال: (قُلْتُ: ٱرْتَقَيْتُ) قوله: (ارتقيت) قد يدخل في معناها طلبتُ الرقية، وقد يدخل أيضًا فيها أنه رقى نفسه، وهذا هو الأقرب والأرجح.

ثم قال: (فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَٰلِكَ؟) يعني ما حملك على أن تطلب الرقية، أو ترقي نفسك؟ قال: (حَدِيثٌ حَدَّثَنَاهُ الشَّعْبِيُّ) والشعبي تابعيٌ كبير من كبار التابعين، واسمه عامر بن شراحيل الهمداني.

(قَالَ: وَمَا حَدَّثَكُمْ؟ قُلْتُ: حَدَّثَنَا عَنْ بُرَيْدَةَ ابْنِ الْحُصَيْبِ) وبُريدة -وليس بَريدة- عندنا بَريد وعندنا بُريدة مُذكره مفتوح أوله، ومؤنثه مضموم أوله (بَريد) وبُريدة، قال: وهو بُريدة بن الحصيب بن الحارث الأسلمي، وهو صحابيٌ رضي الله عنه قال: حدثنا عن بُريدة بن الحصيب (أَنَّهُ قَالَ: «لَا رُقْيَةَ») وهذا له حُكم الرفع؛ لأن هذا كلامٌ لا يُقال من تلقاء الصحابي، وإنما ما سمعه من النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأن هذا تشريع، قال: («لَا رُقْيَةَ») يعني تنفع، أو إن كانت الرقية تنفع، فهي أكثر ما تنفع من عينٍ أو حُمة.

والعين إصابة العين، وليس بالضرورة أن تكون حسد، لأن الناس تغلط في باب العين، فتظن أن العينَ لا تأتي إلا من حاسد، وهذا خطأ، لأن الحاسد خبيثُ النفس، والعين قد تقع من طيِّب النفس عند

أن يغفُل عن التوجيه النبوي الذي علمناه النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ حين قال في حديث سهل بن حُنيف لما قال لصاحبه: «استُرني حتى أغتسل» فلما رأى صاحبه جلده كيف هو أبيض قال: ولا جلد مُخبأة، فصدق من فورِه، فدُعي النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إلى ذلك فأتاه فرقاه فقال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «مال أحدكم يعمد إلى أخيه فيقتله»، ثم ذكر المَخلص والمُخرج من العين فقال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «إذا رأى أحدكم ما يُعجبه، فليُبرِّك»، ومعنى يُبرك الأرجح من أقوال أهل العلم أن يقول: «اللهم بارك»، وليس كما يقول العامة: ما شاء الله، فإن ما شاء الله إخبار، ويُضيف بعضهم ما شاء الله تبارك الله، وما شاء الله إخبارٌ، وتبارك الله تنزيهٌ وتقديس، وأما اللهم بارك فهي دعاء، وهو المطلوب.

قال: (مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ) والحُمة: هو سم بعض الحشرات كالعقرب ومثيلاتُها، هي أشهر ما يكون من العقرب، ولكن هناك بعض الحشرات تلدغ ولها سمٌ، وقد يكون سمُّها مؤلمًا، لكنه غير قاتل، وأما سُم العقرب فهو قاتل؛ لأنه يُجيب الجهاز العصبي فيُعطله.

ثم قال سعيد بن جبير لحصين: (قَدْ أَحْسَنَ مَنِ ٱنْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ) جملة مهمة جدًا لطالب العلم، يعني عَمِل بهذا الذي سمعه، إن كان نصًا من كتاب الله أو من حديث رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، أو من قول الخلفاء الراشدين، أو من قول الصحابة ولم يُعارض، المهم أنه من انتهى إلى ما سمع فعمل به يعني سمع مما يكون من الوحي، فهذا أحسن.

ثم بين قال: (وَلَكِنْ) للاستدراك، قل هذا الذي أنت سمعته، لكن نحن سمعنا غير ذلك، قال: (حَدَّثَنَا ٱبْنُ عَبَّاسٍ) ما الذي سمعه حصين؟ أنه لا بأس بالرقية أنه قال: «لا رُقية إلا من عين أو حُمة» أنه لا بأس بالرقية حتى ولو تطلبها من الغير، إلا أنَّها مع أنها جائزة إذا طُلبت من الغير منعت من هذا الفضل الذي سيذكره، لكنها لا تُخرج صاحبها من التوحيد، وإنما تُنقص من التوحيد، لأنه فيه شيءٌ من التعلُّق بغير الله.

قال: (وَلَكِن حَدَّثَنَا ٱبْنُ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ») هذا العرض اختلف فيه

العلماء: هل هو عرضٌ رآه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقظةً، أو عرضٌ رآه منامًا؟

ذهب كثيرٌ من أهل العلم إلى أنه عرْضٌ يقظةً وكان ذلك ليلة الإسراء، لما كان في السماء أراه الله الأمم، كل نبيٍ معه أمته، وقيل: إنه عرْضٌ منامي، لكن الأرجح أنه عرْضٌ كان يقظةً في رحلة الإسراء والمعراج حين عُرج به إلى السماء.

قال: (**فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ**) نبيٌ معه رهط، والرهط جماعةٌ دون العشرة، يُقال لهم: رهط، وهذا نبيٌ من أنبياء الله لم يتبعه أُرسل إلى قومه، لكن لم يستجب له إلا رهط، ونبيٌ آخر لم يستجب له ويؤمن به إلا رجلان ونبيٌ رجل واحد، ونبيٌ لم يؤمن به وبرسالته أحدٌ، وهذا فيه تطمينٌ وتسلية لطالب العلم والداعية إلى الله ألا يهتم بحجم التابعين له، أو المقبلين على دعوته لا يهتم، لأن بعض الناس يضع شرطًا في المكان الذي يأتي إليه ليُحاضرْ، إن لم يكن الحاضرون بهذا العدد يُلغي، وهذا لاشك أنه خطأ، والصواب: أن تُبلغ رسالة الله ولو لشخصٍ واحد، وتُبلغ رسالة ولا تهتم بمن قَبِل ومن لم يقبل، كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [النور:٥٤].

قال: («**إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ**») السّواد وصفٌ وُصفت به الجماعة الهائلة من الناس، لأنهم إذا اجتمعوا جميعًا في مكان، وتلاصقت أجسادهم، صار المنظر كأنه قطعة سواد سواد شعورهم، سواد رؤوسهم، فلذلك سُمي سوادًا، تسمية مجازية.

قال: (**عَظِيمٌ**) يعني عدده هائل قال: إن الله وعده أن نصف أهل الجنة من أمته، نصف أهل الجنة من أمة محمد يا ربي لك الفضل، اللهم لا تحرمنا أن نكون منهم.

قال: (**فَقِيلَ لِي: هَٰذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ**) الله أكبر على أنهم آذوه، وكذبوه إلا أن منهم سوادٌ عظيم آمنوا به، وهؤلاء الذين لم يُغيروا ويُبدلوا، فهم سوادٌ عظيم، وهؤلاء انتهى آخرهم قبل مبعث محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما بُعث النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان لزامًا على كل أحد أن يدخل في دينه، فلو بقي

على دين موسى ما نفعه، كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهوديًا كان أو نصرانيًا، ثم لا يؤمن بي إلا أدخله الله النار». قوله: «من هذه الأمة» أي أمة الدعوة، لأن الأمة إما أن تكون أمة دعوة، أو أمة إجابة، وأمة الدعوة هي كل أحدٍ وُجد حيًا مُنذ مبعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى قيام الساعة.

وأُمة الإجابة: هي كل من قبل دعوة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآمن به.

قال: (فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ») يعني أعظم من الأول، هناك قال: «إذ رُفع لي سوادٌ عظيم» وهنا قال: («فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ») هذا يدل على أن هُنا أي عظيمٌ بمعنى أعظم يشهد له حديث آخر: أن نصف أهل الجنة من أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم نصفها الآخر من بقية الأمم.

قال: (فَقِيلَ لِي: «هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ») سبعون ألفًا في أمةٍ تعدادُها عظيم، قد يقول قائل: هذا عددٌ يسير، لكنْ قد صحت روايات أخرى أنهم سبعون ألفًا ومع كل واحدٍ منهم سبعون ألفًا، فيكون العدد كبير، سبعون ألف ويأتي أيضًا مع كل واحد سبعين ألفًا، كما في بعض الروايات، وهو بسندٍ صحيح قال: («ثُمَّ نَهَضَ») أي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أن حدثهم عن هذا الذي رأى في الإسراء دخل منزله بعد أن حدثهم، قال ابن عباس: («فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ») يعني أخذوا يتكلمون يعني يحزنون مَن هؤلاء؟ (فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ) لأن الصحبة لها فضلٌ عظيم، (وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الإِسْلَامِ فَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا) يعني لم يسبق إسلامهم شركٌ، وذكروا أشياء قد تكون هي الأسباب في أنهم يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.

قال: (فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ) أي عليهم وهم جلوس يتكلمون (فَأَخْبَرُوهُ) في بعض الروايات أنه سألهم ما هذا الذي تخوضون فيه؟ فأخبروه، فقال مُجيبًا عن أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فقال مُبينًا أوصافهم: (فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ») «لا يسترقون» السين هنا للطلب أي لا

يطلبون الرقية، السين في لغة العرب إذا تقدمت الفعل أفادت الطلب، كما قال الله ﷻ عن يوسف: ﴿فَاسْتَعْصَمَ﴾ أي طلب العصمة، وهنا قال: «لا يسترقُون» أي لا يطلبون من أحدٍ أن يرقيهم، وليس في ذلك حُرمة، لكنْ إذا صبر على نفسه وصبر على قدره، وابتهل إلى الله ودعاه، ورقى نفسه، فإنَّه لا يخرج من هذه الفئة السبعين ألف، ولكنَّه إذا لم يحتمل وطلب من أحدٍ أن يرقيه، فإنه لا يخرج من التوحيد، لكنه لا يدخل في هذه الفِرقة.

قال: («وَلَا يَكْتَوُونَ») أما الكيُّ فليس من أعمال هذه الطائفة لا بطلبٍ ولا بنفسِهِ، لا يقبل الكي نهائيًا، وليس هو بحرام، كقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الشفاء في ثلاثة: في شرطة محجم، وشربة عسل، وكية نار، وأكره لأمتي كية النار»، ليس حرامًا، لكنه آخر العلاج الكَيْ.

قال: («وَلَا يَتَطَيَّرُونَ») التطيُّر لا هو يتطير ولا يُتطير له، لأن في الحديث: «ليس منَّا من تطير أو تُطير لَه» يعني يطلب من أحد أن يتطيَّر له، أو إذا تُطير له يعمل بذلك، التطير هو التشاؤم، أُطلق عليه تطيُّر، لأن عامة تشاؤم أهل الجاهلية كان بالطير يخرج الرجل من بيته لسفرٍ أو لأمرٍ من الأمور فيرى الطير فيزجر، يزجر الصوت حتى تنفر، ثم ينظر، فإذا نفرت يمينًا قال: هذا خيرٌ أقبلنا عليه، وإذا نفرتْ شمالًا قال: هذا شرٌ فيرجع لا يمضي فيه.

والوصف المضاد لهذه كلها قال: («وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ») أي يتوكلون في المرض على الله على أن يشفيهم، كما قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء:٨٠] ، فلا يطلبون من أحدٍ أن يرقيهم، ولا يكتوون لدفع المرض، وإنما يتوكلون على ربهم، ولا يتطيرون في إدراك الخير أو دفع الضُّر، لا يتشاءمون.

قال: (فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ) وهو صحابيٌ من بني أسد يُقال له: عكاشة بن محصن بن حرثان الأسدي وهو من أهل بدر، من السابقين إلى الإسلام، وقُتل في قتال أهل الردة مع خالد بن الوليد رضي الله عنه وأرضاه، وهو مع أنَّه في هذا الحديث جزم له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه من أهل الجنة، إلا أنه لم يترك العمل حتى ليس العمل السهل الذي يستطيعه كل أحد، بل القتال في سبيل الله مع أن الجنة ضُمنت

له، وهذا فيه ردٌ على أولئك الذين يزعمون أن العمل لا يلزم من آمَن.

قال: (فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ ٱدْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ»). قوله: («أَنْتَ مِنْهُمْ») قال العلماء: إما هو شفاعة من النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ له، والشَّفاعة لا تُرد، وإما أن الوحي جاءه باسمِهِ أن عكَّاشة بن محَصن منهم، فاخبره النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه منهم، وكلا الأمرين فيه ضمانٌ أن عكاشة بن محصن يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب، لكنه مع هذه الضمانة لم يترك العمل، كما قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أفلا أكون عبدًا شكورًا».

(ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ) الآن الناس لما رأوا النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال ذلك طمعوا فقام رجلٌ آخر، لكن قيل: أنه كان من المنافقين، ولا دليل على أنه كان من المنافقين، قال: (فَقَالَ: ٱدْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»)، يعني بهذا الطلب أي إلى هذا المنقبة وهذه المرتبة العظيمة العالية.

وهذا فيه أنَّ عكاسة ممن استكملوا التوحيد من كل وجهٍ.

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من الذين استكملوا التوحيد، ويرضون الله ﷻ، ولا يأتون ما ينقص الإيمان ولا يُبطل التوحيد.

والله تعالى أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه